

## نبض المدينة

في قلب الحمرا، أبصرت صالة جديدة النور أخيراً. الفضاء الذي يديره الفنان العراقي محمود شبر، تنشغل في اختيار أعماله تشكّل مرآة لها تقاسيه المنطقة اليوم من تقسيم وخراب ودمار. وتقدّمها عصاره بصرية للرأي

## نيسان الحروب يزهر بيوتاً غنية في بيروت

# «أفكار آرت»: صرخة (عراقية) ضد كل الاحتلالات

نيكول يونس

أزهر الفصل الثقافي الجديد في بيروت عدداً من المراكز وصالات العرض، آخرها «أفكار آرت غاليري» في الحمرا. صالة فتيحة، لا تتحدى، بل تتعاون مع الكل لبث فكرها المنتمي، بين ما يقارب 80 صالة وغاليري في لبنان. تجربة يخوض غمارها مدير الصالة محمود شبر. تشكيلي عراقي طموح، اختار افتتاح «أفكار» بمعرض فردي لزميله وصديقه الفنان العراقي سلام عمر. لكن لم بيروت؟ ولم الآن؟ وماذا تريد أن تقول هذه الـ «أفكار»؟ أربع عشرة سنة على «سقوط» بغداد على يد الاحتلال الأميركي في نيسان (أبريل) 2003. 14 سنة من نهب للأرض، ومحاولات طمس الفكر وتشويه الثقافات. وما زالت الارتكابات مستمرة عبر تدمير كل أثر حضاري وفني لبلاذ الرافدين. لكن أحقاً تسقط بغداد؟ البصرة؟ أور/الناصرية؟ نينوى/الموصل؟ أنطمس أقدم حضارات الدنيا؟ فنياً، لا. لا سقوط، بل قيامة آتية لا محال... عبور إلى الحياة. من نيسان الاحتلال مروراً بالنيسانات الداعشية على أرض العراق، إلى نيسان الابتكار اليوم، ما زال الشباب العراقي يفرس مقاومته في كل أرض علّها تثمر صرخات فنية. يخوض تجاربه في كل سوح النزال، يذكر الدنيا بما قاساه ويقاسيه عراقه، وينافس في أهم بقاع الأرض. يعود نيسان هذه السنة بثمار عراقية بصرية ملوّحة بعزة التصدي، وصدق المحاكاة لروح العصر وقلب الحدث. قوامها الجوهرية؟ صرخة ضد كل الاحتلالات.

المفارقة أنّ الصرخة العراقية هذه تنطلق من نيسان بيروت، نيسان ذكرى الحرب الأهلية، ونيسان مجزرة قانا. من ساحة فنية أبت أن يدمرها أي شكل من أشكال الإرهاب والحروب، لتؤكد مرة جديدة على أن قلب بيروت النابض مثل يحتذى به. والأهم أنه يتسع للكل، فكيف بمن قاسى مثله؟ بيروت لم ولن تتننى عن دورها الريادي كمحرك للعجلة الثقافية والفنية في المنطقة العربية. على خلاف عواصم السوق الفنية، ورغم كل عوامل قوة البورصات الفنية في الجوار، تبقى بيروت الحقل المغناطيسي الأول الجاذب للتشكيليين من مختلف الاقطار العربية.

«بيروت مدينة لا سقف لها. هي تتحمل الجميع!» يجيبنا الفنان العراقي القدير أحمد البحراني عندما نسأله عن سبب إصرار كل الفنانين العرب، وتحديدًا العراقيين، أن يمرّوا من خلال بيروت. ويضيف: «الفنان العربي يأخذ ختم نجاحه من بيروت. ميزة هذه



من معرض الفنان العراقي سلام عمر (نيون ومعدن - 100 سنتم)

تنظيم معارض لعلاء بشير  
الذي يعتبر معلّم السريالية

المدينة وأهلها أنهم يستوعبون الجميع. يعني لست مضطراً أن تتلبن حتى تمارس فنك. لذلك أقول دوماً إنّ بيروت مدينة لا سقف لها».

يؤكد مدير الغاليري محمود شبر ما قاله زميله وصديقه البحراني: «أتينا ليس من باب أن نكون منافسين بل لأنّ عندنا طروحاتنا الخاصة التي نوصل عبرها صوتنا كفنانين ومفكرين، ومثقفين، كمنحبة إذا جاز التعبير. نستطيع أن نوصل هذا الهم الجمالي والإنساني الذي نعيشه. وبالنتيجة «أفكار» ولدت من هذه القضية. وبيروت الآن أصبحت وطناً لنا. أعيش هنا في بيروت منذ 6 سنوات. أكاد أكون جزءاً من هذه المدينة».

الغالييري عبارة عن قاعة صغيرة في مبنى «الكوستا» (الطابق الرابع) الذي كان محجة للفنانين المسرحيين والتشكيليين والمثقفين قبل زمن. يجلسون في مقهى طابقه الأرضي (الـ «هورس شو» حينها). وأخيراً، بات يحوي في طوابقه بيوتاً فنية أو غاليريات (مثل «آرت سبيس حمرا»)، لتأتي «أفكار» وتكمل تركيب جزء من صورته الفنية والرمزية اليوم.

هو عامل جذب قوي إذاً، لكن الإقدام على مغامرة طموحة له أسباب أكثر من مادة الجذب، فلا بد من وجود طرح فكري مختلف وراء هذه الصالة. يجيب شبر بتلك النفحة الشاعرية التي تميّز معظم تعابير الشباب العراقي: «فكرة الغالييري هي طموح عندي بأن أترك بصمة في بيروت. بيروت معترك جمالي وثقافي مهم. وهي أمنية لديّ بأن أكون ضمن هذه المنظومة التي تعمل في مجال الثقافة والجمال، وتكون لنا طروحنا الخاصة النابعة من هموم المنطقة اليوم من ضياع ودمار ومحاولات تقسيم وتهشيم وإقصاء». هنا يؤكد أمراً هاماً، بأن الغالييري ليست عراقية صرفاً، بل هو يختار الأعمال النابعة من صميم ما يدور الآن في المنطقة والعالم وقلب الحدث ليقدّمها عصاره بصرية للرأي.

يدرك شبر ما هو مقدّم عليه. عدا الصداقة التي تربطه بعدد كبير من الفنانين وجامعي اللوحات، هو دقيق في اختيار الأعمال، أولها اختياره معرض الافتتاح لسلام عمر (راجع المقال أدناه). يعلق: «نحن نقدم المفهوم/ الكونسبت المرتبط بنا سناً وأهلاً ومجتمعاً. افتتحنا بسلام عمر الذي كان جازماً، يليه البحراني، ثم علاء بشير الذي يعتبر معلّم السريالية. عندنا أسماء مهمة لفنانين لبنانيين لن نفضح عنها الآن، وأخرى يتم التفاوض معها».

## الافتتاح مع سلام عمر: ماذا نحسب هذا الخراب؟

بعالم الفنون. في معرضه، يعتمد عمر على تكرار الطبقات الحديدية فوق بعض، تكراراً صوفياً ربما كدوران الدراويش. ويقولها: «هو الوصول. هو لشحن المعنى، وزيادته، وتكثيف الزخم العاطفي».

ثم يتابع شرحها لنا: «هي مفردات بسيطة وقليلة. هنالك سطح من حديد. راحت قيمة الحديد واختفت، وأخذت طابعاً آخر ربما تشعرين أنها قماش. فهذه كلها مفردات أمام التقنية التي تصبح داخلياً مكملات للمشهد الذي أريد التحدث عنه. أحاول نقل الصورة الواقعية كأنني أخذتها من الشارع وأتيت بها إلى هنا. كل هذا لم يكن موجوداً طبعاً، أنا صنعته. يعني اختزلت هذا الزمن وكثفته لأمنحه اللحظة المشحونة القوية للمشاهد. أي شخص يدخل المعرض، سيحس بالصراخ والصمت الموجودين من دون أن أرسّم مقاتلاً أو شخصاً مباشراً. هذا المعنى القوي هو الذي كنت أعمل عليه».

ثم تأتي شهادة الفنان أحمد البحراني الذي خاض أوائل تجاربه في لبنان مع سلام عمر في معرض مشترك قبل 17 عاماً. يقول لـ «الأخبار»: «منذ بداية الثمانينات، تعرفت إليه عندما كنتُ طالباً. سلام هو باحث، إضافة إلى كونه رساماً. وهذه نقطة مهمة. معرضه هو خلاصة ما يجري الآن على الأرض، فالمواد المستخدمة مهمة تشبه ما يدور على الأرض، ولا يستطيع أحد أن يستوعب كيف استطاع أن يحول هذا الركام إلى لوحة فنية. بقي محافظاً على الجانب الجمالي، وهذه نقطة مهمة».

نيكول...

معرض سلام عمر: حتى نهاية نيسان (أبريل) - «أفكار آرت غاليري» (الحمرا - مبنى الكوستا).



ورواد محترفه. نلتقي هناك بالتشكيلي اللبناني محمد عبدالله الذي يعلّق على الأعمال، معتبراً أنّها «أشبه باستمرار للأعمال القديمة. لكن، كأفكار هي حتماً جديدة ولم يقاربه أحد من قبل بهذا الشكل. غالبية الفنانين هنا حريصون على التفلسف في حين يقدّم سلام مادة فلسفية لكن عن تجربته والواقع الذي يعيشه. نشعر أنّ هناك حرباً ونقداً سياسياً في اللوحة. كما أنّ المأساة واضحة وضوح الشمس».

في التفصيل التقني، لوحات سلام عمر الحديدية الرقيقة القوية الصلبة المتينة الجذابة والصداقة في أن، لا يمكن أن تكون إلا محط جذب للضليعين